شبهات عن قضية فلسطين

والجهاد المُقدّس فيها

بقلم

د.زين بن محمد بن حسين العيدروس

أستاذ الحديث وعلوم السنة المشارك بجامعة حضرموت

شبهات عن قضية فلسطين
والجهاد المُقدّس فيها

بقلم

د . زين بن محمد بن حسين العيدروس
عفا الله عنه
أستاذ الحديث المشارك وعلوم السنة بجامعة حضرموت

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لا يجوز طباعتها أو نشرها إلّا بإذن خطي من المؤلف

رقم الإيداع بدار العيدروس(١٢٧)

قال العلماء:(مِنْ بَركةِ العلمِ أن تُضيفَ الشيء إلى قائِلهِ)

(جامع بيان العلم لابن عبد البر٢/٨٩)

دار العيدروس

daralaidaroos@gmail.com

٧٧١٣١١٤٥٦

حضرموت . المكلا

اليمن

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ الأرض والسماء، الذي ينصر مَنْ يشاء ويقهر مَنْ يشاء، ويُعز مَنْ يشاء ويذل مَنْ يشاء، ويهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد المصطفى الذي جاهد في سبيل الله تعالى، وصلّى بالمسجد الأقصى، وهو سيّد الأنبياء، وعلى آله الأبطال النجباء، وعلى أصحابه الشرفاء، ومن تبعهم وسار على دربهم واهتدى، وجاهد في سبيل الله ثم ارتقى، أما بعد:

فهذه أجوبة مختصرة عن شبهات مُتكررة، تُلقى أو تُسمع بين الحين والآخر، وفي أيام العِزّ والكرامة، والبطولة والشجاعة، يُكررها من يظن أنه من أهل الصواب، وهو ينهج نهج الأعداء! فأجهل الخلق من لا يعرف أعدائه! ولا يدرك ما يخرج من رأسه، ولا يعرف مآلات كلامه! حاولت تبسيطها؛ ليُدرك الخطر قبل وقوع الضرر بل والشرر، وقديماً قالوا: إن في الأحداث والوقائع ما يظهر الحقائق، ويكشف الأقنعة، وصدق الله تعالى: ((إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)) [سورة آل عمران: ١٤٠ .١٤١]، وقال سبحانه: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))[سورة العنكبوت:٢. ٣]، وذكرت سبعاً من أهم الشبهات، ثم أتبعتها بأجوبة عنها، والله الموفق للصواب.

الشبهة الأولى : شبهة من يقول : إن قتال كتائب عِزِّ الدّين القسّام في ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣م ضد الإسرائيليين كان سبباً في قتل كثير من الأبرياء بغزة خصوصاً وفلسطين، وأن الأمّة لم تجنى من ذلك إلا التقتيل والتشريد والتدمير ! !

الجواب عن هذه الشبهة من أربعة أجوبة :

الجواب الأول :

إن الجهاد ضد الأعداء من الكفار المُعتدين ليس هلاكاً وإنما فيه النجاة والشهادة، ودفع الاعتداءات على الأمة والمسلمين كافة، وذلك من فروض الكفايات على الأمة جميعاً، بل ذلك شرف لنيل الشهادة ودفع المهانة والذلة والمسكنة !

إنما الهلاك في الإقامة على الدنيا وتقديمها على السعادة الأبديّة والشهادة الأخرويّة، إنما الموت الحقيقي هو الخنوع في ظِل الاحتلال الغاشم الذي كل يوم يرتكب الفضائع والمجازر، والجرائم والمحارم ! ! التي لا يقبلها دين ولا عرف ولا قانون ! ! فأيّ حياة بعد كل هذا الانتهاك والهلاك ! !

ولذا ثبت عن جماعة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ما يدل على أن دفع الكفار المعتدين بإلحاق الأذى بهم لا يُعد ذلك من التهلكة سواء للمجاهدين أو لعموم المسلمين، فعن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيّ ـ رحمه الله ـ، قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا

التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ((وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))[سورة البقرة: ١٩٥]، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ (فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ رضي الله عنه، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ)[أخرجه الترمذي واللفظ له في سننه برقم ٢٩٧٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. والحاكم في المستدرك ٢/٢٧٥]

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بعد ذكر رواية للبراء بن عازب رضي الله عنه : (وصحَّ عن ابن عباس وجماعة من التابعين نحو ذلك في تأويل الآية، وروى ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم أنها كانت نزلت في ناس كانوا يغزون بغير نفقة، فيلزم على قوله اختلاف المأمورين، فالذين قيل لهم: أنفقوا وأحسنوا، أصحاب الأموال والذين قيل لهم: ولا تلقوا، الغزاة بغير نفقة، ولا يخفى ما فيه، ومن طريق الضحاك بن أبي جبيرة كان الأنصار يتصدقون، فأصابتهم سنة فامسكوا، فنزلت، وروى ابن جرير وابن المنذر بإسناد صحيح عن مدرك بن عوف قال: إني لعند عمر رضي الله عنه فقلت: إن لي جاراً رمى بنفسه في الحرب فقتل، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة! فقال عمر رضي الله عنه: (كذبوا لكنه اشترى الآخرة بالدنيا)، وجاء عن البراء بن عازب في الآية تأويل آخر أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عنه بإسناد صحيح عن أبي إسحاق قال، قلت للبراء: أرأيت قول الله عز وجل: ((وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))، هو الرجل يحمل على الكتيبة فيها ألف قال: لا، ولكنه الرجل يذنب فيلقي بيده

فيقول: لا توبة لي. وعن النعمان بن بشير نحوه والأوّل أظهر؛ لتصدير الآية بذكر النفقة فهو المعتمد في نزولها، وأما قصرها عليه ففيه نظر؛ لأن العبرة بعموم اللفظ على أن أحمد أخرج الحديث المذكور من طريق أبي بكر وهو ابن عياش عن أبي إسحاق بلفظ آخر قال: قلت للبراء الرجل يحمل على المشركين أهو ممّن ألقى بيده إلى التهلكة قال: لا؛ لأن الله تعالى قد بعث محمداً فقال: ((فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا))[سورة النساء:٨٤] ، فإنما ذلك في النفقة، فإن كان محفوظاً فلعل للبراء فيه جوابين والأول من رواية الثوري وإسرائيل وأبي الأحوص ونحوهم، وكل منهم أتقن من أبي بكر فكيف مع اجتماعهم وانفراده اه، وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو فصرّح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ومتى كان مجرد تهّور فممنوع، ولا سيما إن ترتّب على ذلك وهن في المسلمين) [فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ١٨٦] ، فكل ما حصل من المجاهدين الأبطال في طوفان الأقصى في فلسطين ضد اليهود الغاصبين حصل به أذى للكافرين، وحصلت نكاية بهم وإرهاباً ضدهم، ولن ينسوها على ممرّ السنين، والنصر لا يكون إلا بتضحية وبشهادة وارتقاء إلى مراتب الشهداء الأصفياء، فقتلى المسلمين إلى النعيم، وقتلى الكافرين إلى الجحيم.

الجواب الثاني:

إن قالوا: لو أن المقاومة لم تفعل فعلتها في العدو ما استشهد من إخواننا في غزة من استشهد !

تلك هي الغفلة والاغترار بالدنيا والخلل في الإيمان بالقضاء الإلهي والقدر، والجهل بحقيقة الموت والأجل، وقد سبق إلى ذلك المنافقون في زمن النبوة، وحكى الله كلامهم في كتابه ورد عليهم حيث قال:

((الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ))[سورة آل عمران: ١٦٨ ـ ١٧٠]

قال الإمام فخر الدين الرازي ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (قال الواحدي: الواو في قوله: وقعدوا للحال ومعنى هذا القعود: القعود عن الجهاد يعني من قتل بأحد لو قعدوا كما قعدنا وفعلوا كما فعلنا لسلموا ولم يقتلوا، ، ثم أجاب الله عن ذلك بقوله: ((قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)) ؟

فإن قيل: ما وجه الاستدلال بذلك مع أن الفرق ظاهر فإن التحرز عن القتل ممكن، أما التحرز عن الموت فهو غير ممكن ألبتة؟

والجواب: هذا الدليل الذي ذكره الله تعالى لا يتمشى إلا إذا اعترفنا بالقضاء والقدر، وذلك لأنا إذا قلنا لا يدخل الشيء في الوجود إلا بقضاء الله وقدره، اعترفنا بأن الكافر لا يقتل المسلم إلا بقضاء الله، وحينئذ لا يبقى بين القتل وبين الموت فرق، فيصح الاستدلال. أما إذا قلنا بأن فعل العبد ليس بتقدير الله وقضائه، كان الفرق بين الموت والقتل ظاهراً من الوجه الذي ذكرتم، فتفضي إلى فساد الدليل الذي ذكره الله تعالى، ومعلوم أن المفضي إلى ذلك يكون باطلا، فثبت أن هذه الآية دالة على أن الكل بقضاء الله)[مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير٩/ ٤٢٤ـ٤٢٥]

الجواب الثالث:

إن قالوا: ماذا عن كلِّ هذا العدد من الضحايا ؟

فالجواب : هؤلاء شُهداء بإذن الله وليسوا ضحايا ! ومعلوم أنَّ الثبات على العقيدة والمبدأ عبادة وليست تجارة لتُقارن بالثّمن ! أصحاب الأخدود أُحرِقوا جميعاً ! فسمّى الله هذا فوزاً عظيماً !

وسُميّةُ طعنها أبو جهلٍ بالحربة وهي مثبتة بالأوتاد في الأرض، وهي رغم هذا أول شهداء الإسلام!

الجواب الرابع :

إن قالوا: أيرضيكم كل هذا الكمِّ من الدّمار؟

فالجواب: أنتم تفكِّرون ببناء بيت وأهل الحق والثبات يفكرون ببناء وطنٍ ودولة!

وإنَّ الذي هدم البيوت هو الاحتلال وليس المقاومة، لا أحد في اليابان يقول إنَّ هيروشيما وناكازاكي دمرهما الجيش الياباني؛ لأنه خاض الحرب، الكل يعرف أنَّ الذي دمرهما هي أمريكا ! وليست اليابان، هذا وهي حرب على الاقتصاد وأماكن النفوذ وليست كحربنا على العقيدة والوجود !

الشبهة الثانية : شبهة أن فلسطين ليست للعرب وإنما أوّل من سكنها الاسرائيليون!

والجواب عن هذه الشبهة من جوابين:

الجواب الأول:

كان الكنعانيون يَسكنون فلسطين قديمًا؛ وهم سلالات عربية كإخوانهم العَدنانيينَ والقحطانيين، ويظهر أنهم تَجبَّرُوا وأثَاروا الرُّعب حيث يعيشون، وأراد الله تأديبهم على مفاسدهم فسلَّط عليهم بني إسرائيل، وقد وَجِلَ الإسرائيليون أيام موسى ـ عليه السلام ـ من التعرُّض للكنعانيين وغلَبَهم الجُبن، وقال لهم: ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) [سورة المائدة: ٢١]، ورفضوا الزَّحْف إلى فلسطين قائلين لموسى: ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ))، فلمَّا ألَحَّ عليهم قالوا مرة أخرى: ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ))، وعُوقب الإسرائيليون على جُبنهم بالتِّيهِ في سَيناء أربعين سنة، مات خلالها سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ، ثم خلَفه "يُوشَع" الذي قاد بني إسرائيل إلى فلسطين مُنتصِرًا على الكنعانيين، وبانِيًا حُكمًا دِينيًّا باسم التوراة بعد هزيمة العرب! بَيْدَ أن اليهود لم يَلبثوا طويلًا حتى نجَمت بينهم عِلَلٌ خُلُقية واجتماعية بالغة السُّوء، زادوا بها شرًّا على مَن كان قبلهم! وقد حَكَوا عن أنفسهم وحكى القرآن عنهم ما يستحقُّ التأمُّل، فقد اقْتَرَفُوا رذائل، جعلت القدَر يحكم بطرْدهم مِن فلسطين شرَّ طَرْدةٍ، وبَدَا أن السلطة في يدهم تُعين على الافتراء والاعتداء إلى حدٍّ بعيد، فليسوا لها بأهْل! ينبغي تجريدهم منها !

وكانت فلسطين ـ حتى بعد قُدوم اليهود ـ مَليئةً بأجناسٍ أخرى، وكان المَسلك المستحب لبني إسرائيل تَحْقيرَ هذه الأجناس والنَّيْلَ منها بأسلوب غريب ! فقد زعموا أن " البَنعميّينَ" من أصل لا يُمكن أبدًا أن يرتفع. [ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري٢/ ١٣٤،]

إن اللهَ عزَلهم نهائيًا عن القيادة الدينية التي كانت لهم، وحَرَمَهُمْ مِن الوحْي وشرف إبلاغه، واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة، وكانت ليلةُ الإسراء والمِعراج التصديقَ الحاسِم لهذا التحوُّل، فقد انتقلت الرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وأصبحت الأمة العربية لا العِبْرية هي الوارثة لهدايات السماء! ونهض الإسلام بالعرب نهضةً رائعة، وجعل منهم حَمَلَةَ حضارةٍ زاهية، وفُوجِئ العالَم بالأمة التي لم تعرف إلا رَعْيَ الغنم ونَقْلَ السلع تتلو مِن كتابها أصحَّ العقائد وأحْكَمَ الشرائع وأشْرَفَ التقاليد.

[ينظر: مائة سؤال عن الإسلام للمفكر محمد الغزالي ٤٣٨. ٤٣٩]

الجواب الثاني:

الابن البكر والأكبر لسيدنا إبراهيم هو إسماعيل وهو جد العرب ـ وأُمّه هاجر ـ، ـ عليهم السلام ـ. ومعلوم أن الابن الأكبر حسب شريعة اليهود هو الذي يرث أكبر سواء كان ابن حرّة أو ابن أمة، وقد وُلِد إسحاق بن إبراهيم ـ وأُمّه سارة ـ وقد كان عُمر إسماعيل أربعة عشر عاماً، وقد جاء بسفر التكوين بالإصحاح السابع عشر حيث نجد العهد الذي أعطاه الله تعالى لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ إذ قال له تعالى: ((وأُقيمُ عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً؛ لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، أرض غربتك كل أرض كنعان مُلكاً أبدياً، وأكون إلههم))، وعليه : حسب الشريعة اليهودية إذن ووفقاً لنصوص التوراة يكون للعرب الحق في أرض كنعان.

وما نُقل من الإصحاح السادس عشر، وفيه عبودية واسترقاق العرب من نسل إسماعيل لأبناء عمومته من نسل إسحاق، فهذا يعد من تناقض الإصحاح نفسه مع إصحاح تالٍ له وهو الإصحاح السابع عشر، وهذا يدل كذبهم وافتراءاتهم وتحريفهم للتوراة ، فالبشرية منذ عهد بعيد قد فرغت من الرِّق! وكيف

يسترق أبناء الأخ وأحفادهم لأولاد أخيهم من غير أيّ مبرر وسبب من أسباب الرّق ؟ ! فهل التوراة الصحيحة تأمر باستعباد الناس بعضهم ببعض دون أيّ سبب معتبر كالحروب مثلاً ممّا كان معهودا عند الأمم السالفة؟ فهل هذا الزعم يصلح أن يكون مبرراً لسفك الدماء واحتلال الأرض وانتهاك العرض، وإلحاق الجرائم بالفلسطينيين ؟ !

واقرأوا ما كتبه اليهودي صاحب كتاب : (**إسرائيل والعرب**) إذ يقول: (إن اليهود من جهة لا يمكن لهم الركون إلى حقهم الموروث في أرض إسرائيل منذ ألفي عام، منكرين من جهة أخرى حق الفلسطينيين في أرض فلسطين، وهو على الأقل مُساوٍ لحقهم في نفس الوطن. إن المرارة المرتبة على إنكار الإسرائيليين لحق الفلسطينيين لاتزال موجودة. ومادامت هذه المرارة موجودة، فإن حق الإسرائيليين لا يظل حقاً نظرياً افتراضياً غير واقعي. إنه يكون بذلك نوعاً من الحق المتنازع عليه، وليس حقاً ثابتاً هادئاً مستقراً إن الإسرائيليين يستطيعون فقط أن يأملوا أن يقبل الفلسطينيون بوجودهم يوماً من الإيام. وعندئذ فقط تتحقق آمال الإسرائيليين. إن للعرب حقوقاً أكبر من حقوق الإسرائيليين في أرض فلسطين، إن الفلسطينيين حقوقاً في أرض فلسطين مماثلة لحقوق الفرنسيين في أرض فرنسا ، ولحقوق البريطانيين في أرض بريطانيا ، وحق العرب ذاك لا يحتاج إلى أية جهود للدعاية والترويج له، إنه ثابت وواضح بذاته، والخطأ الذي يمارس بحقهم إنما هو حقيقي للغاية) .[ينظر: العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق لأحمد ديدات ٤٩ ٦٢ـ ٦٤]

الشبهة الثالثة : شبهة أن الانتصار على اليهود الصهاينة لا يكون إلا بعد نزول سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ، وعليه لا يصح أن نقاتلهم؛ لأننا لن نهزمهم، ولأن دولة اسرائيل مستمرة حتى قبيل الساعة! !، وبعضهم ينهزم نفسياً قبل ذلك.

الجواب على هذه الشبهة من جوابين:

الجواب الأول:

النصوص الشرعية تذكر أنه عند نزول سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية؛ واليهود الذين يُقْتَلون وقتذاك، والذين يدلُّ عليهم الشجر والحجر بشكل مُعجز هم الذين سيقدمون مع المسيح الدجّال، وهذا يشير إلى أن الدولة اليهودية الحاضرة ستُصَفّى وتنتهي نهائيّاً ـ بإذن الله تعالى ـ ذلك وعد الله سبحانه : ((وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا)) [سورة الإسراء: ٨]، أي: إن عدتم بالإفساد عُدنا عليكم بالتّسليط ، وهَا هُم عادوا بالإفساد في فلسطين وانتهكوا الحرمات واغتصبوا الوطن، وسيعود الله تعالى عليهم بالتسليط حين يوجد جند الله تعالى.[ينظر: تقديم سعيد حوّى لكتاب الإسلام والقضية الفلسطينية لعبد الله علوان ص٦]

الجواب الثاني:

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة يُفْهَمُ منها قيام خلافة راشدة قبل خروج المهدي منها:

١ – ما رواه عبد الله بنُ حَوَالَة الأزديّ –رضي الله عنه– قال: بَعَثَنا رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجَعنا ولم نغنم شيئًا، وعَرَفَ الجَهْدَ في وجوهنا، فقام فينا

فقال: "اللهم لا تكِلهُم إليَّ فأضعُفَ، ولا تكِلهُم إلى أنفسهم فيعجِزوا عنها، ولا تكِلهُم إلى الناس فيستأثِروا عليهم"، ثم قال: "لَيُفْتَحَنَّ لكم الشَّامُ والرُّوم وفارس –أو الروم وفارس– حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، ومن الغنم، حتى يُعْطى أَحَدُهُم مئَةَ دينارٍ فيَسْخَطُها". ثم وضع يده على رأسي –أو هامتي– فقال: "يَا بْنَ حَوَالَة، إِذَا رَأَيتَ الْخِلافَةَ قَدْ نَزَلَت الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ وَالْبَلايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إلى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِه مِنْ رَأْسِكَ" [أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٧/ ١٥١، والبخاري في تاريخه ٨/ ٤٣٦، ٤٣٧، وأبو داود في سننه برقم ٢٥٣٥، والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٢٥]، قال العلامة سعيد حوى . رحمه الله . وقوله في الحديث : قد نزلت الأرض المقدسة ...: الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس، وإلى القدس يذهب المسيح –عليه السلام– بعد نزوله في دمشق، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين، وأن دولة اليهود الحالية ذاهبة منتهية. [ينظر: الأساس في السنة لسعيد حوى ٢/ ١٠٢٥].

فأخبر أن الخلافة في آخر الزمان تكون في القدس ، وبعد ذلك تظهر الأشراط الكبرى للساعة بما تحمله من زلازل وفتن.

٢ – ومنها ما رواه مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ، –أَوْ مَنْكِبِهِ – ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا»، أَوْ «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ» [أخرجه أبو داود في سننه برقم٤٢٩٤]، وفتح القسطنطينية سيتم في زمن المهدي الذي هو في زمن عيسى . عليه السلام. قالوا: وعمران بيت المقدس

سيكون بالخلافة النازلة فيه؛ وهذا يستلزم تحرير القدس؛ وتحريرها يستلزم قيام الجهاد الشرعي الإسلامي ضد اليهود هناك.

٣ - ومنها ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُم اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُم فَيَدِينُونَ لَهَا" [أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٤، والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٣٠، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في سنن ه الكبرى٩/ ١٨١، والمَدَر: القُرى والأمصار، والوَبَر: صوف الإبل، والأرانب، ونحوها، يعني: أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوَبَر]

وقوله صلى الله عليه وسلم: "فيدينون لها" فيه إشارة إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح ـ عليه السلام ـ؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: " وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ((وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)) [النساء: ١٥٩] [أخرجه البخاري في صحيحه برقم٢١٠٩، وبرقم ٢٣٤٤، ومسلم في صحيحه برقم ١٥٥و٢٤٣]

يتضح من الأحاديث - أيضا - أن المسلمين وقيادتهم سيكونون ببيت المقدس، وأن الدجال ومن معه - وغالبُ مَن معه مِن اليهود - سيقدمون إلى فِلَسطينَ من خارجها، ولن يكونوا فيها، وسيحاصرون

المهدي ومن معه حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم، وأنه -عليه السلام- ومعه المؤمنون سيتعقّبون الدجال ومن معه، فيقتله المسيح عيسى ابن مريم عند باب لُدٍّ، ويقتل أتباعه حتى إن الحجر والشجر ليدلان المسلمين عليهم.

وهذا كله يعني لنا شيئًا واحدا ومهمًا هو: أن دولة الكيان اليهودي المغتصب في فلسطين الآن لن تبقى حتى ذلك الوقت، وإنما هي في سبيلها إلى الزوال.

قال العلامة سعيد حوى - رحمه الله تعالى- : . . . لا ارتباط بين نزول المسيح عليه السلام والمهدي، فعلى هذا الاتجاه يمكن أن نتصور أن الخلافة التي تكون على منهاج النبوة والتي تأتي بعد الملك الجبري كما ورد في بعض النصوص الصحيحة يمكن أن تبدأ بالمهدي أو يكون المهدي واحدًا من سلسلة خلفائها، وقد تكون هذه الخلافة التي تأتي بعد الملك الجبري هي التي يحصل بها انتصار عالمي للإسلام كما ورد في أكثر من حديث كما مر معنا . " ثم قال :

وفي كل الأحوال لابد أن ننبه على قضايا:

أولاً: أن دولة اليهود الحالية على كل الاتجاهات في الفهم للنصوص ستنتهي، وليست نهايتها معلقة بنزول المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، وأن النصوص الواردة في أن الحجر والشجر يدلان المسلم على اليهودي ليقتله ليست واردة في هؤلاء اليهود بل في يهود يقدمون مع الدجال.

ثانيًا: أن العمل من أجل استئناف وجود الخلافة الراشدة فريضة إسلامية شرعية يجب على كل مسلم أن يعمل لها، وتتأكد الفرضية في حق القادرين على ذلك من حكام وعلماء ودعاة، ولا يعجز المسلمون

إذا صدق حكامهم وعلماؤهم ودعاتهم أن يوجدوا الصيغ التي تناسب واقع المسلمين وأحوال العصر بحيث تقام الخلافة فتكون بركة على الجميع، ولا تسبب ضررًا لأحد ولا ينتقض بوجودها سلطان أحد ممن بيده السلطان إذا كانوا مسلمين حقًا .

فنحن إذن نؤمن بخليفة سيظهر له مواصفات معينة وننوي – ونسأل الله أن يعيننا على تحقيق النية– أن نكون من جنده إذا ظهر، ولكنا لا نعلّق العمل لنصرة الإسلام وإقامة الخلافة على ظهوره؛ لأنه إن كان من خلافة كان أحد الخلفاء الذين يسبق وجودهم نزول عيسى ابن مريم بزمن، فلا يشترط أن يكون أول الخلفاء، وإن كان هو الذي ينزل في عهده عيسى ـ عليه السلام ـ فلا يجوز أن نعطل العمل لإقامة فريضة شرعية انتظارًا لشيء أخبرنا الله عزّ وجل عنه، فكما أن الصلاة لا نؤخرها عن وقتها فكذلك فرائض العصر لا نؤخر العمل لها تعليقًا على شيء لم يكلفنا الله عز وجل أن نعلق عملاً مفروضًا حتى ظهوره. [ينظر: الأساس في السنة وفقهها ٢/ ١٠٢٥ـ ١٠٢٦].

الشبهة الرابعة: أليس اليهود ينتسبون لإسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ والعرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ؟ ! فلِمَ نعادي اليهود وهم أبناء عمومتنا ؟ ولماذا لا نتصالح معهم؟

والجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة أجوبة :

الجواب الأول :

هل يجوز شرعاً وعقلاً أن يغتصب شخص أرضاً أو دارا لابن عمّه بحجة القرابة؟! الجواب قولاً واحداً: لا ؛ لأن القرابة لا تكون سبباً للإباحة والقتل والاغتصاب !! وإلّا لكان لقابيل الحق في قتل

هابيل على هذا المنطق الذي يُغلّب جانب النسب والقرابة على جانب الحق والإصابة!! والله يقول: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))[سورة المائدة: ٢٧]، ورتّب الله تعالى على هذا العذاب العظيم، وكتب ذلك على بني إسرائيل، فقال سبحانه: ((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)) [سورة المائدة: ٣٢]

الجواب الثاني:

إذا كان بنو عمومتنا !! بغوا علينا أليس من المنطق أن ندافع عن أنفسنا؟ أليس من المنطق على العقلاء أن يقاتلوا من بغى واعتدى؟ قال الله تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[سورة الحجرات: ٩]، وكيف إذا كانت الباغية من غير المؤمنين؟ بل من المعتدين ومن أهل الفساد في الأرض كما أخبرنا الله تعالى عن اليهود وفضحهم في محكم الكتاب: ((فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى))[سورة طه:٥٢]، ألم يأذن الحق تعالى بقتل من اغتصب العرض والأرض وقتل من اعتدى وظلم وسفك الدم؟ قال سبحانه: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))[سورة الحج: ٣٩]

فكيف نصالح اليهود المغتصبين المستكبرين الجبارين الماكرين الأفاكين ؟؟!!

الجواب الثالث:

إن الله تعالى الذي خلقنا وخلق البشرية جمعاء أمرنا بالتبري من كل ماكرٍ فاجرٍ أفّاك حتى لو كان ابناً أو أباً أو أخاً، ولنقرأ إلى قوله تعالى في هذا التنصّل والتبرّؤ : ((وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[سورة هود: ٤٢ . ٤٦]

وقال سبحانه وتعالى في ترك الاستغفار للكفار ولو كانوا من ذوي القربى : ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ))[سورة التوبة: ١١٣]، وقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [سورة التوبة: ٢٣]، فهل بعد هذا البيان الرباني القرآني من يقدم القرابة والأخوّة على حساب الدين والعقيدة ؟ وهل يعقل بعد هذا أن يبرر للتصالح مع

من يقتلك ويسرقك ثم يقول لك : أنا أخوك أو ابن عمك ؟ ! ! ((سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)) [سورة النور: ١٦]. [ينظر: الإسلام والقضية الفلسطينية لعبد الله علوان ص٩٥ ـ ٩٦]

الشبهة الخامسة : لو كانت قضية الإسرائيليين غير عادلة لانتصرنا عليهم في حروبنا معهم؟ ! فلِمَ كل هذه الهزائم منذ أمد طويل التي لحقت وتلحق بالمسلمين؟ !

الجواب عن هذه الشبهة الواهية من ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول :

وإن انتصر الإسرائيليون علينا في عدّة حروب ماضية، لكن هل معنى هذا الانتصار أنهم على الحق، وأن قضيتهم عادلة؟ .

الإسلام وضع أمام المسلمين سنناً للنصر، فإن حققوا هذه السنن فالله سبحانه ينصرهم على أعدائهم مهما كان هؤلاء الأعداء كثرة في العدد، وأقوياء في العُدة. . فمِن سنن النصر التزام المسلمين منهج الله تعالى في الرخاء والشدّة، والسِلم والحرب، قال الله تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))[سورة النور:٥٥]، ومن سنن النصر كراهية الدنيا وحب الموت، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها" فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم،

وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ". فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ)[أخرجه أبوداود في سننه برقم ٤٢٩٧، قال الهيثمي: إسناده جيد . المجمع ٧/ ٢٨٧]، ومن سنن النصر من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، قال سبحانه: ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا))[سورة النساء:٧٦] ، تلكم أهم أسباب النصر التي أمر الإسلام بها وحض عليها ، فهل كان المسلمون في حروبهم السابقة ملتزمين منهج الله ، ومنفذين لمبادئ دينه ونظام شرعه ؟ هل كانوا متخلين عن الدنيا، مقبلين على الموت والشهادة في سبيل الله تعالى؟ وهل كانوا محترسين من المعاصي والذنوب قبل هذه الحروب وبعده؟ فكيف بعد الإجابات عن هذه التساؤلات بـ(لا) أن ينتصر المسلون ؟

الجواب الثاني :

إنما ننتصر على أعدائنا بطاعتنا لربنا وبمعصية عدونا ، فإذا استوينا مثلهم بالمعاصي، فكيف ننتصر عليهم ؟

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومَن معه من الأجناد : (أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضلُ العدَّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب وآمُرك ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوّكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوّهم ، وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدَّتنا كعدّتهم ، فإذا استَوَينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوّتنا واعلموا أن عليكم في مسيركم حَفَظَةً من الله يعلمون ما

تفعلون ، فاستَحْيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدوّنا شر منا فلن يُسَلَّط علينا وإن أسأنا : فرُبّ قوم سُلّط عليهم شر منهم ، كما سُلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كُفّارُ المجوس: (فَجَاسُوا خِلاَل الدّيَارِ وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً) [سورة الإسراء: ٥] [ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد١/ ١١٩ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٢٤٠]

الحرص على الطاعة والبعد عن المعصية، فإن هذا أولى ما تُوجه إليه الهمم بعد الإيمان؛ بحيث يكون الغالب على جماعة المسلمين الطاعة، وتكون المعصية منغمرة في جنب ذلك ليس لها ظهور ولا فشو، فقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم! إذا كَثُر الخبث»[أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٣٤٦] ، ولذلك فإن من أهم ما يستحق العناية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقوم بذلك الأفراد والهيئات والدول، فإن طاعة الله تعالى من أهم ما يجلب للمؤمنين نصره، وللكافرين الهزيمة والخذلان.

الجواب الثالث :

كيف ننتصر على أعدائنا من اليهود المغتصبين إذا اغترنا بأنفسنا أو بكثرتنا أو بقوتنا ؟

وقد سبق أن المسلمين في غزوة حنين حين اغتروا بكثرتهم ،وغفلوا عن حقيقة أن صانع النصر هو الله وحده، هزمهم الله في بدء المعركة، وسجل القرآن الكريم هزيمتهم؛ ليري الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان أن الذي يخلق النصر، ويهزم الأعداء هو الله تعالى، لا الكثرة تنفع، ولا القوة تُجدي، ولا الاستعداد الكبير يصنع شيئاً إذا لم يكن المؤمنون بعد الأخذ بالأسباب واثقين بنصر الله ، مستغيثين برب الأرباب، معتمدين عليه : ((وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)) [سورة آل عمران:١٢٦]

فالإعجاب بالنفس سبب للحرمان؛ لأن معناه اعتماد الإنسان على قوته ونسيانه الله تعالى والإنسان مهما بلغ من القوة فهو ضعيف إلا بتقوية الله له ولقد كانت كلمة قالها بعض الصحابة يوم حنين حين بلغوا اثنى عشر الف مقاتل فقالوا لن نغلب اليوم من قلة فأراهم الله تعالى أن النصر من عنده فقال: ((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ - ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ - ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [التوبة: ٢٥ – ٢٧]

وهذا درس واقعي للمسلمين في كل عصر فإن نتائج الاغترار وخيمة على ممر الأعصار ! [ينظر: الإسلام والقضية الفلسطينية لعبد الله علوان ص٩٧ - ١٠٠]

الشبهة السادسة : نجد من بعض الدعاة وأنصاف العلماء من ينادي بالعزلة الكاملة، والتزام البيوت والسكوت، اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة، وأن لا أمل إلى استعادة مجدها، واسترجاع عزتها وكيانها ، ومقدساتها . . . ! وأنه آن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات، يتتبع بها شعف الجبال يفر بدينه من الفتن حتى يدركه الموت ! !

والجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول :

ما يستدل به هؤلاء السلبيين المثبطين على الجهاد بشتى أنواعه، وما فهموه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ» [أخرجه البخاري في صحيحه برقم ١٩] ، هو فهم غير صحيح ، فقد حمل العلماء الحديث على فضل العزلة في أيام الفتن؛ لإحراز الدين؛ ولئلا تقع عقوبة فتعم، وهذا على عامة الناس الذين ليست لهم قدرة علمية ومادية على التغيير، وأما الشخص الذي لَهُ قدرة عَلَى إزالة الفتنة، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها، إما فرض عين، وإما فرض كفاية بحسب الحال والإمكان. بل حُمِل الحديث أيضا على من يفتتن بدينه ويجبر على الردة. والعياذ بالله تعالى. [ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٢/ ٥٦٧]

ولكن الحال يوجد في أرض الإسلام مسلمون يؤدّون الشعائر، ويطبقون على أنفسهم أحكام الإسلام؛ وما دام أن هناك مجال للتعاون، وتحقيق العز للإسلام فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء؛ لأنه ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب؛ لذا وجب على المسلمين أن يحققوا حكم الله تعالى، وأن يحرروا الأرض المقدسة، وأن يقيموا في ربوع المعمورة دولة الإسلام! !

الجواب الثاني:

وأما أنه لا أمل إلى استعادة مجدها، واسترجاع عزتها وكيانها ، ومقدساتها..! فهذا يعد من التثبيط المذموم شرعاً، وهو سبيل المنافقين، الذين يثبطون المؤمنين، قال الله تعالى عنهم: ((قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ

رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠))) [سورة الأحزاب : ١٩ ـ ٢٠] فقد قرن الله تعالى اليأس بالكفر ـ والعياذ بالله ـ، فقال سبحانه : ((إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ))[سورة يوسف: ٨٧]، فلا إيمان مع اليأس، ولا يأس مع الإيمان!

الجواب الثالث:

للحوادث التاريخية التي وقعت لأمة الإسلام دليل باهر على أن الأمة الإسلامية لم تهزم ولن تقهر إذا استقامت وصدقت !! وهذه نماذج من تاريخها الناصع :

١. مَنْ كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة حينما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى؟ وقام أبوبكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، وقد عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق، وارتد من ارتد من أحياء العرب، وظهر مّدعو النبوة، وامتنع قوم عن أداء الزكاة، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة المكرمة، والمدينة المنوّرة؛ وأصبح المسلمون كما يقول عروة بن الزبير رضي الله عنه : (لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي افْتَرَقُوا فِيهِ، قَالَ: لِيُتَمَّ بَعْثُ أُسَامَةَ، وَقَدِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، إِمَّا عَامَّةً وَإِمَّا خَاصَّةً فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ، وَاشْرَأَبَّتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ الشاتيه، لفقد نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وَقِلَّتِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبُ- عَلَى مَا تَرَى- قَدِ انْتَقَضَتْ بِكَ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ

تَفْرقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فقَال أَبو بَكْرٍ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السِّبَاعَ تَخَطَّفَنِي لَأَنْفَذْتُ بَعْثَ أُسَامَةَ كَمَا امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنفذْتُهُ!

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما قال: ثُمَّ اجْتَمَعَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي غَابَتْ فِي عَامِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَخَرَجُوا وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي جُنْدِ أُسَامَةَ، فَحَبَسَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه مَنْ بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمُ الْهِجْرَةُ فِي دِيَارِهِمْ، فَصَارُوا مَسَالِحَ حَوْلَ قَبَائِلِهِمْ وَهُمْ قَلِيلٌ)، زاد ابن الأثير: فَلَمَّا خَرَجَ الْجَيْشُ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ بِالْجُرُفِ وَتَكَامَلُوا - أَرْسَلَ أُسَامَةُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَكَانَ مَعَهُ فِي جَيْشِهِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ، وَقَالَ: إِنَّ مَعِي وُجُوهَ النَّاسِ وَحْدَهُمْ، وَلَا آمَنُ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَحُرَمِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ. وَقَالَ مَنْ مَعَ أُسَامَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ نَمْضِيَ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا، وَاطْلُبْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَلِّيَ أَمْرَنَا رَجُلًا أَقْدَمَ سِنًّا مِنْ أُسَامَةَ. فَخَرَجَ عُمَرُ بِأَمْرِ أُسَامَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ أُسَامَةُ. فَقَالَ: لَوْ خَطَفَتْنِي الْكِلَابُ وَالذِّئَابُ لَأَنْفَذْتُهُ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا أَرُدُّ قَضَاءً قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ. قَالَ عُمَرُ: فَإِنَّ الْأَنْصَارَ تَطْلُبُ رَجُلًا أَقْدَمَ سِنًّا مِنْ أُسَامَةَ. فَوَثَبَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ جَالِسًا، وَأَخَذَ بِلِحْيَةِ عُمَرَ وَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَأْمُرُنِي أَنْ أَعْزِلَهُ؟ ! ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَتَاهُمْ وَأَشْخَصَهُمْ وَشَيَّعَهُمْ، وَهُوَ مَاشٍ وَأُسَامَةُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَأَنْزِلَنَّ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا نَزَلْتَ وَلَا أَرْكَبُ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمَيَّ سَاعَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ! فَإِنَّ لِلْغَازِي بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا سَبْعَمِائَةِ حَسَنَةٍ تُكْتَبُ لَهُ، وَسَبْعَمِائَةِ دَرَجَةٍ تُرْفَعُ لَهُ، وَسَبْعَمِائَةِ سَيِّئَةٍ تُمْحَى عَنْهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ قَالَ لِأُسَامَةَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعِينَنِي بِعُمَرَ فَافْعَلْ، فَأَذِنَ لَهُ، ثُمَّ وَصَّاهُمْ فَقَالَ: لَا تَخُونُوا،

وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلًا وَتُحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُءُوسِهِمْ، وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفْقًا. انْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ. وَأَوْصَى أُسَامَةَ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَسَارَ وَأَوْقَعَ بِقَبَائِلَ مِنْ نَاسِ قُضَاعَةَ الَّتِي ارْتَدَّتْ، وَغَنِمَ وَعَادَ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: سَبْعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ إِنْفَاذُ جَيْشِ أُسَامَةَ أَعْظَمَ الْأُمُورِ نَفْعًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَالُوا: لَوْ لَمْ يَكُنْ بِهِمْ قُوَّةٌ لَمَا أَرْسَلُوا هَذَا الْجَيْشَ، فَكَفُّوا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلُوهُ. [أخرجه الطبري في تاريخ الرسل والملوك٣/ ٢٢٥، وينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ٤/ ٧٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير٢/ ١٩٥]

فلله درّ الصديق ورضي الله عنه فقد تغلّب على الصعاب، وقضى على الفتن، وانتصر على المرتدين ومدعي النبوة ومانعي الزكاة ،وأعاد للمسلمين عزّتهم، ولليائسين تفاؤلهم، وللإسلام دولته، وللخلافة هيبتها ، وهكذا يصنع عظماء الرجال، وأقوياء الإيمان، وهذا عكس ما يُروّج له المثبِّطون من أهل الدّعة والركون ! !

٢. مَنْ كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لّما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية، والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان، حتى ظن الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين، وأن لا رجاء في ردّ أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين؟

٣. مَنْ كان يظن أن هذه البلاد ستحرر في يوم ما على يد البطل المِغوار (صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ) في معركة حطّين الحاسمة، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزّة والسيادة ما شرّف التاريخ؟ ! !

٤. مَنْ كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لمّا خرّب المغول والتتار العالَم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ونهبوا الأموال، وداسوا القيم، وفتكوا في الأنفس، والأغراض فتكاً ذريعاً؟ حتى قيل إن جبالاً شاهخة، وأهرامات عالية أقامها هولاكو من جماجم المسلمين! ! ومما قاله المؤرخ ابن الأثير ـ رحمه الله ـ في هول هذه الأحداث : (لَقَدْ بَقِيتُ عِدَّةَ سِنِينَ مُعْرِضًا عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ اسْتِعْظَامًا لَهَا، كَارِهًا لِذِكْرِهَا، فَأَنَا أُقَدِّمُ إِلَيْهِ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَمَنِ الَّذِي يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ نَعْيَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنِ الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ ذِكْرُ ذَلِكَ؟ فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَيَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حُدُوثِهَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، إِلَّا أَنَّنِي حَثَّنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ عَلَى تَسْطِيرِهَا وَأَنَا مُتَوَقِّفٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ لَا يُجْدِي نَفْعًا، فَنَقُولُ: هَذَا الْفِعْلُ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْحَادِثَةِ الْعُظْمَى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى الَّتِي عَقَّتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي عَنْ مِثْلِهَا، عَمَّتِ الْخَلَائِقَ، وَخَصَّتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْعَالَمَ مُذْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدَمَ، إِلَى الْآنِ، لَمْ يُبْتَلَوْا بِمِثْلِهَا، لَكَانَ صَادِقًا، فَإِنَّ التَّوَارِيخَ لَمْ تَتَضَمَّنْ مَا يُقَارِبُهَا وَلَا مَا يُدَانِيهَا) [الكامل في التاريخ لابن الأثير١٠/ ٣٣٣]، ولكنه لو عاش بعد ذلك لرأى انتصارات المسلمين، ولعلِم أن الله سبحانه يدافع عن الذين آمنوا، وصدق الله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ))[سورة الحج: ٣٨].

٥. مَنْ كان يظن أن بلاد الإسلام ـ بعد هذا ستحرر في يومٍ ما على يد البطل المقدام (قطز) في معركة عين جالوت ، الحاسمة. . ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة ما فخرت به الأجيال ! !

أليس في هذه الأحداث التاريخية ما يدل ويبرهن أن لا مكان لأهل الدعة والكسل ! ! وأن لا كلام إلا مع المجاهدين الأبطال ، وصدق مَنْ قال:

خلق اللهُ للحُروبِ رجالاً * ورجالاً لقصعةٍ وثريدِ

هذه الوقائع الحقيقية تلتقي كلها معاً على وجود قيادة مؤمنة حقاً ، راسخة العقيدة، قوية الإيمان بوعد الله ونصره، وبصلاح الإسلام، وبالقوة الكامنة فيه، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، مجرّدة عن كل أنانية، وعصبية جاهلية، يقاتلون بدعوة الإسلام ، ويقاتلون بسيف سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [سورة المجادلة: ٢٢]، ((وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ))[سورة الصافات :١٧٣].

إن التفاؤل بالنصر هو مُقدّمة النصر، وأن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان. والله سبحانه مع المتقين المخلصين المجاهدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله تعالى : ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)) [سورة القصص:٥].

فالنصر لا محالة قادم بشرطه ولأهله، قال الله تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) [سورة النور:٥٥]، وقال جلّ ذكره: ((وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) [سورة الحج:٤٠]، وقال سبحانه : ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)) [سورة النور:٤٧].

فهنيئًا ثم هنيئاً لمن كان من الطائفة المنصورة بأكناف بيت المقدس ، أو كان ناصراً لهم أو ساعياً معهم كل بمجاله وخبراته وقدراته، فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٩٢٠]، وفي لفظ : (لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[أخرجه البخاري برقم ٧٣١١]، وفي لفظ : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: " بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) [أخرجه أحمد في مسنده ٦٥٧/٣٦، والطبراني في مسنده الكبير١٤٥/٨، قال الهيثمي: وَالطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٨]، فكل هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن النصر موجود وأنه واقع لا محالة، وإنما يحصل المد والجزر، والله غالب على أمره، ولو كره الكافرون، ولو كره المثبطون!!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يحصل بين الناس اليأس، ويستحوذ عليهم القنوط؟ ولماذا لا يسعى المسلمون إلى مجد شامخ، وعزّة مَنيعة، وسيادة رائدة؟ [ينظر: الإسلام والقضية الفلسطينية لعبد الله علوان ص٨٠ ـ ٨٨]

الشبهة السابعة : إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله سلم ترك مكة وهاجر، وأذِن بالهجرة لأصحابه إلى أرض الحبشة، من أجل الحفاظ على أرواحهم وأنفسهم؛ لأن حُرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرّفة، وهذا يدل على أن الموت لأجل الوطن والأرض موت جاهلي ! ! فلم الفلسطينيون يعرّضون أنفسهم للهلاك وسفك الأرواح ؟

والجواب عن هذه الشبهة من أربعة أجوبة:

الجواب الأول :

مقارنة مكة المكرّمة بأرض فلسطين أو غزة غير صحيح ؛ لعدة أمور، منها : كفار قريش والمسلمون كلهم يعشون في ارض واحدة وكل له حق العيش فيها بينما اليهود في فلسطين ليس لهم حق ولا أدنى حق، بل هم مغتصبون معتدون، منتهكون لكل الحقوق ، وقبل مائة سنة قبل أن يعِدهم بلْفُور بلفسطين ليس لهم وطن بل هم مشردون مضطهدون؛ لسوء أفعالهم وخبث طوياتهم، ولا أثر لهم ولا ذكر لدولتهم المزعومة على خريطة فلسطين البتّة! فكيف تُترك لهم فلسطين ، وكيف يطالبون بالهجرة منها محافظة على دمائهم ؟!!

الجواب الثاني :

إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من مكة المكرمة طوعاً هو وأصحابه بل خرجوا مُكرهين، فقد قال الله تعالى: ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) [سورة الأنفال :٣٠] ولمّا خرج الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة خاطب مكة بخطاب كأنه يخاطب عاقلاً، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلَى الْحَزْوَرَةِ . منطقة تطل على مكة .، فَقَالَ: " عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له ٣١/ ١٣، والترمذي في سننه برقم ٣٩٢٦، وقال: حديث حسن صحيح. وعند البزار في مسنده ١١/ ١٧ بلفظ: (نظر إلى مكة)]،وقال سبحانه عن أصحاب نبيّه صلى الله عليه وسلم : ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) [سورة الحشر: ٨]، فكيف يقارن خروج الرسول صلى عليه وآله وسلم وأصحابه بخروج غيرهم ومطالبتهم بذلك؟!!

الجواب الثالث :

الدفاع على المال أو الأرض أو العرض دفاع مُقدس ، ولذا أمرت الشريعة برد الصائل المعتدي، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» [أخرجه البخاري برقم ٢٤٨٠]، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[أخرجه الترمذي برقم ١٤٢١ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.] فكيف يقال بعد ذلك أن من يقاتل ضد المحتل لأجل ماله من أرض ونحوه يموت موتة جاهلية؟ ألم يأمر ديننا الحنيف للدفاع عن أموالنا ودمائنا ؟ واليهود المغتصبون يهلكون الحرث والنسل بأرض فلسطين دون نكير ولا رقيب ولا حسيب، إلا كلمات ضائعة في مؤتمرات حكّام المناصب والكراسي؟ ثم يأتي من يأمر أصحاب الأرض والدار إلى الرّحيل والبحث عن موضع استقرار؟ حفاظاً

على الأنفس ؟ أيعقل هذا ممّن يتّسم بالعلم ! ! وهو يُؤيّد بمثل هذه الجهالات التهجير للمسلمين، وهو الذي يسعى إليه اليهود والصهاينة، وهذا بغيتهم من أمثال هذه الآراء المشبوهة أو مدفوعة الثمن ! !

الجواب الرابع :

فلسطين تعد دار إسلام، وعليه لا يصح التنازل عنها ولو في شبر منها مهما كلفنا من ثمن !

ولا يجوز شرعاً تسليم دار الإسلام للكفار، أو التسليم لهم ببقائهم في مقابل حصول المسلمين على جزء آخر منها، ولا يصح مقايضة أرض الإسلام بشيء مطلقاً، فدار الإسلام ليست مِلكاً لأحدنا حتى يمكنه التنازل عنها، وإنما هي لله سبحانه، وهو يحكم فيها بما شاء، وقد قضى تعالى أن الأرض للمسلمين، كما قال: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) [سورة الأنبياء: ١٠٥]، والصالحون هم المسلمون، فلا يقبل إذن التنازل عن جزء من دار الإسلام لصالح الكفار، والاعتراف بسلطانهم مطلقاً، فالأرض لله يرثها لعباده الصالحين المؤمنين ! !

وقد صرّح علماء الإسلام باتفاق وجوب دفع العدو الكافر إذا هجم على بلد إسلامي، ويُسمونه بجهاد الدفع، وهذه بعض أقوالهم :

١ـ قال العلامة **الجصّاص** ـ رحمه الله ـ: (ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو، ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة: أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسَبْيَ ذراريهم) [أحكام القرآن٤/٣١٢]

٢ ـ وقال العلامة **القرطبي** ـ رحمه الله ـ : (إذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار . . . وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا، ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً، شباباً وشيوخاً . كلٌّ على قدر طاقته . . . ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا، على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أنّ منهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه –أيضاً– الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم) [الجامع في أحكام القرآن ٥١/٨]

٣ـ وقال العلامة **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ : (فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعمّ وجوباً ، ولهذا يتعيّن على كل أحد يقم، ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق. ولا يُشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضِعْفَي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجباً عليهم؛ لأنه حينئذٍ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع، وهل تُباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرّته؟ فيه قولان للعلماء، هما روايتان عن الإمام أحمد . ومعلوم أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالباً مطلوباً أوجب من هذا الجهاد الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من الوجهين. وأما جهاد الطلب الخالص؛ فلا يرغب فيه إلا أحد رجلين: إمّا عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كلّه لله، وإما راغب في المغنم والسَّبي. فجهاد الدفع يقصده كل أحد ، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعاً وعقلاً، وجهاد

الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين، وأما الجهاد الذي يكون فيه طالبا مطلوباً؛ فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله ودينه، ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظّفر)[الفروسية ص ١٨٧]

واليوم فلسطين وأكنافها كل يوم واليهود يعيثون فيها فساداً وتقتيلاً وتشريداً وهدما ! ! ألا يُباح للمسلمين أن يدفعوا عنهم الظلم والاعتداءات بشتى وسائل الجهاد؟ والله تعالى يقول: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ)) [الحج: ٣٩].

أسأل الله العظيم أن يعجّل بتحرير فلسطين من براثن اليهود المجرمين، وأن ينصر المجاهدين في فلسطين، وأن يثبتهم على الحق والهُدى، وأن يخذل أعداء الدِّين من اليهود والنصارى المعتدين، وأن يرد مسرى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يعز الإسلام والمسلمين، وينشر دين الحق في جميع النواحي، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه زين بن محمد العيدروس . عفا الله عنه .

الجمعة ١٠/ جماد أول ١٤٤٥هـ ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣م

المكلا . حضرموت

فهرس الموضوعات

المقدمة.. ٣

الشبهة الأولى : ٤

شبهة من يقول : إن قتال كتائب عزِّ الدّين القسّام في ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣م ضد الإسرائيليين كان سبباً في قتل كثير من الأبرياء بغزة خصوصاً وفلسطين، وأن الأمّة لم تجنى من ذلك إلا التقتيل والتشريد والتدمير ! ! ٤

الشبهة الثانية :... ٨

شبهة أن فلسطين ليست للعرب وإنما أوّل من سكنها الاسرائيليون ! ٨

الشبهة الثالثة :.. ١٢

شبهة أن الانتصار على اليهود الصهاينة لا يكون إلا بعد نزول سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ، وعليه لا يصح أن نقاتلهم؛ لأننا لن نهزمهم، ولأن دولة اسرائيل مستمرة حتى قبيل الساعة ! ! ١٢

الشبهة الرابعة:.. ١٦

أليس اليهود ينتسبون لإسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ والعرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ؟ ! فلِمَ نعادي اليهود وهم أبناء عمومتنا ؟ ولماذا لا نتصالح معهم؟ ١٦

الشبهة الخامسة : ١٩

لو كانت قضية الإسرائيليين غير عادلة لانتصرنا عليهم في حروبنا معهم؟ ! فلِمَ كل هذه الهزائم منذ أمد طويل التي لحقت وتلحق بالمسلمين؟ ! ١٩

الشبهة السادسة : ٢٢

نجد من بعض الدعاة وأنصاف العلماء من ينادي بالعزلة الكاملة، والتزام البيوت والسكوت، اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة، وأن لا أمل إلى استعادة مجدها، واسترجاع عزتها وكيانها ، ومقدساتها ٢٢

الشبهة السابعة :.. ٣٠

إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله سلم ترك مكة وهاجر، وأذِن بالهجرة لأصحابه إلى أرض الحبشة، من أجل الحفاظ على أرواحهم وأنفسهم؛ لأن حُرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرّفة، وهذا يدل على أن الموت لأجل الوطن والأرض موت جاهلي ! ٣٠

فهرس الموضوعات.. ٣٥